﴿ باب العقائد من الامالي الدينية ﴾

الدرس العشرون — الوحي واقسامه

م (٦٠) امكان الوحي — تقدم ان اثبات النبوة يتوقف على اثبات كون الانسان مركباً من جسد وروح وأن الروح ليست من عالم الملك المادي المشهود وانما هي من ملكوت أعلى مغيب بحقيقته عنا وقد عرفنا ارواحنا بآثارها ، لا بكنهها واسرارها ، وكما يمتاز افراد من الناس بالقوة الجثمانية على سائر اهل قطرهم او على سائر الناس كقيصر روسيا السابق (اسكندر الثالث) الذي كانت تلين في يديه المعادن حتى ان كان ليفمز الريال الروسي من وسطه بأصبعه فيصير مجوفاً كالفنجانة ويضع فيه زهرة ويعطيها لاحدى عقائل النساء في مجلسه ذاك . كذلك يكون لبعض الاناسي قوة روحانية يفوقون فيها سائر البشر . فاذا كان من اثر القوة الجسدية ماذكرنا عن قيصر روسيا السابق فان من آثار قوة الروح في البشر ما هو اظهر من ذلك وابعد في التفاوت بين افراد الناس

آثار القوة الروحية سعة العقل والعرفان وشدة العزيمة والارادة

المساعدة على العمل بما يحيط به العقل من المعرفة بالمصالح حتى اننا نرى الرجل الواحد يحيي امة اواممًا بعد مماتها ، ويجمع شملها بعد شتاتها ، ويعمل ما تعجز عنه الملايين كعمل السلطان صلاح الدين ، في قهر ملوك اوربا واعادة سلطة المسلمين ، وكعمل بسمرك في الوحدة الالمانية ، وواشنطون في تحرير البلاد الاميركانية ، حتى ان بعض اهل الزيغ والجحود توهموا ان ما اعطيه الانبياء من سياسة البشر واصلاح شؤونهم وتقويم مدنيتهم هو نحو ما ذكرنا عن هؤلاء الملوك والسياسيين وما ابعد ما يتوهمون فان هؤلاء الرجال ظهروا في امم لها اديان تهذبها ، وشرائع وقوانين تحكم بها ، وجيوش منظمة تحمي حقيقتها ، وتدافع عن حوزتها ، ولكنها أسادت استعمالها ، او رزئت باهمالها ، فارشدوها الى الانتفاع بما وهبت فعملت بارشادهم ، واسعدوها بالرأى الصحيح فسعدت باسعادهم ، فأين هذا من حال الانبياء المرسلين ، الذين بعثوا في اقوام وثنيين ، يدعونهم الى ترك ما هم عليه من الاعتقادات ، ونبذ ما ألفوه من التقاليد والعادات ، ولم يكن لهم في ابان ظهورهم قوة ملك يعتمدون عليها ، ولا شرائع يقتبسون منها ، وهل قياس هؤلاء بأولئك ، الا كقياس الحدادين بالملائك ، ؟ وانما ضربنا بهم المثل لبعد المسافة بينهم وبين سائر الناس كما ان المسافة بينهم وبين الانبياء في البعد على نحو تلك النسبة أو ابعد منها

م (٦٦) ضروب الوحي وانواعه — الوحي في اللغة اختصاصك احداً بكلام أو اعلام تخفيه عن غيره . وأصله الاشارة السريعة كما قال الراغب ووحي الله الى الانبياء عبارة عما يختصهم به من المعارف التي يريد ان يعملوا بها وان يبلغوها الناس للاهتداء بها بحيث يكونون على بينة من ربهم وثقة

تامة بأن ذلك من لدنه سبحانه وتعالى . ولا يعلم كنه الوحي وحقيقته الا من اختصهم الله تعالى به . وقصارى ما يصل اليه علمنا ان نعرف بالدليل انهم صادقون فى دعوى الوحي وتبليغنا عن العليم الحكيم الرحمن الرحيم ما مست حاجتنا اليه ، وسبق التنبيه عليه ، وان نفهم ماورد عنهم فى ذلك الوحي من بيانه ، ورسومه واقسامه

قال تعالى « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحيَ باذنه ما يشاء انه عليٌّ حكيم » فالآية الشريفة ناطقة بأن طرق كلام الله لانبيائه ثلاثة احدها الوحى بلا واسطة وقد غلب هذا الاطلاق فى العرف والاصطلاح . وانما تكون للنبي تلك الانواع او بعضها بالقوة الروحانية الفائقة التى فطره الله تعالى عليها

من وظيفة تلك القوة وآثارها تمزيق الحجب المادية التي حجبت الروح عن معالمها ، وكسر المقاطر الحسية[1] التى عاقتها عن العروج الى عالمها ، فتعرج باذن الله تعالى الى الملكوت وتتصل بمن شاء الله تعالى من عماره المقربين — تتصل بالملك المسمى بروح القدس والروح الامين ، «وكذلك أوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم »

يتلقى النبي بهذا العروج الروحاني عن الله تعالى من المعارف التى لاينالها الناس بكسبهم ما هم فى اشد الحاجة اليه فى نظام جميعهم وإصلاح احوال معيشتهم ولتطهير عقولهم من ادران الشرك والجهل بالله تعالى

(١) المقاطر جمع مقطرة وهي خشبة فيها ثقوب توضع فيها ارجل المحبوسين

وتنظيف نفوسهم من لوث الاخلاق الذميمة والسجايا الرديئة وتحليتهم بالعقائد الحقة والاخلاق الفاضلة والآداب الصحيحة والعبادات البدنية المرضية التي تمدّ العقائد والاخلاق والآداب وتستمد منها لانها كالبريد بين العقل والنفس . وبين الجسد والحس ، وهذا التلقي قد يكون بالالهام وعبرت عنه الآية بالوحي المطلق . وهذا الحرف مستعمل في القرآن بمعنى الالهام كما قال تعالى «وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً» الخ . وقال جل ذكره « وأوحينا الى ام موسى ان ارضعيه » الآية . وليس كل موحى اليه بالالهام الصحيح نبياً مرسلاً بل النبيّ هو الموحى اليه بالدين الذي يرشد به الناس . وكذلك يقال في مكالمة الملك التي وقعت للسيدة مريم عليها السلام وهي ليست بنبية على الصحيح الذي عليه الجمهور . والرؤيا الصادقة من هذا القسم وكانت اول وحي نبينا عليه الصلاة والسلام كما ورد في حديث البخاري المشهور . وادخل بعضهم الالقاء في القلب في معنى وحي الالهام واستدلوا عليه بقول عبيد بن الأبرص :

واوحى الي الله ان قد تآمروا بإبل ابي أوفى فقمت على رجلي

نعم انه يريد بالوحي ان الله خلق في قلبه علماً بذلك لا يعرف مصدره وهذا هو الالهام . ولكن ورد في الحديث ذكر الالقاء والنفث في الروع مضافاً الى روح القدس فيدل على انه يكون من القسم الثالث وهو الوحي بواسطة الرسول . والكل وحي وهذا الأول ما يكون بغير واسطة

هذا النوع من التلقي عن الله تعالى يحصل في روح النبي دفعة واحدة من غير ان تكون الروح متعلقة بشيء من الاشياء التي تشغلها عن الحس لتجتمع الهمة ويتم الانسلاخ عن العالم المادي والاتصال بالعالم الروحاني

وهو الوحي بدون واسطة مطلقاً . واما النوع الثاني فهو ما يفيض فيه للنبي ما تتعلق به نفسه ، ويشتغل به حسه ، حتى تجتمع الهمة ويصح توجه الروح وتبلغ الكمال في قوتها العقلية ، بعد الانقطاع عن الشواغل الكونية ، فيكون ذلك حجاباً له بين عالم الغيب وعالم الشهادة ويأتيه الوحي من وراء هذا الحجاب . ومن ذلك النار التي رآها موسى عليه السلام في الشجرة فطار اليها لبه ، وتعلق بها قلبه ، وانحصرت في مشكاتها روحه ، فكان منها فتوحه ، وجاءه منها العلم والحكم « وكلم الله موسى تكليماً » وكل كلامه تعالى يسمى وحياً ولذلك قال عز وجل « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى »

وبقي التلقي عن الله تعالى بواسطة الملك المسمى بالروح وهو القسم الثالث المعبر عنه في الآية بقوله تعالى « او يرسل رسولا فيوحي » الى النبي ويعلمه بما يلقيه في قلبه « باذنه » تعالى « ما يشاء » سبحانه ان يوحيه كما قال « نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين » فهذه الآية تدل على ان الملك يلقي ما يريد الله القاءه للنبي في القلب فهو خطاب الروح للروح لما يكون بينهما من الاتصال . وقد ورد في الصحيح ان الملك كان يتمثل بهيئة انسان ويؤيده قوله تعالى « فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً » . وهل يكون كلامه حينئذ كلام البشر كما في حديث الايمان والاسلام والاحسان ام هو مناجاة روحية على كل حال كما هو ظاهر قوله تعالى « نزل به الروح الامين على قلبك » لم يكون تارة هكذا وتارة كذلك ؟ الله ورسله اعلم

م (٦٢) الوقوف عند النصوص . علينا ان نفهم النصوص وما لنا ان نزيد فيها ولا ان ننقص منها لان هذا مما لا يعرف بالقياس . ولا مجال في

حقيقته للعقل ولا للحواس ، وما اختلف المختلفون وفرقوا دينهم وكانوا شيعاً هم كل فرقة الرد على الاخرى الا لتسمية هذا الوحي بأنواعه كلام الله تعالى وايحاءه تكليم الله عز وجل . ولو لم يرد الا لفظ الوحي والايحاء ، والتعليم والانباء ، كقوله تعالى « وعلمك ما لم تكن تعلم » وقوله تبارك اسمه « نبأني العليم الخبير » لما كان لهم ان يقولوا ما قالوه في الصفة النفسية والصفة اللفظية ولا ان يثبتوا له سبحانه صوتاً وحروفاً الى غير ذلك مما نمسك عن الخوض فيه عملاً بهدي الراشدين . وفي الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان يسمع احياناً كصوت السلسلة على الصفوان ولعل ذلك حجاب كنار موسى . وقد علمنا من الآية أن القرآن الكريم اطلق لفظ التكليم على الوحي الذي بمعنى الالهام ورؤى المنام والذي بواسطة الحجاب والذي بواسطة الروح الذي ينزل على القلب . وظواهر الآيات تنأى بك عن قياس التمثيل ، وتربأ بنفسك عن القال والقيل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿ باب الاسئلة والاجوبة الدينية ﴾

(١) من الشيخ احمد محمد الالفي في طوخ القراموص : من اين اخذتم وتأخذون الاحكام التي اجبتم وتجيبون بها على اسئلتنا عدا ما نقلتموه عن الغزالي أهي باجتهاد منكم خاصة ام من مذاهب الائمة المجتهدين ام خليط من هذا وذاك اه بنصه

(ج) لا نكتب جواباً على اطلاقه الا اذا قام عندنا دليل على صحته توصلنا اليه ببحثنا واجتهادنا ولم نكتب جواباً مخالفاً لمذاهب الائمة المجتهدين

(٢) ومنه : هل يصح للناظر ان يستدل باقوال الاصوليين والمتكلمين

والمحدثين والمفسرين والفقهاء المجتهدين والصوفية طبقة بعد اخرى ام لابد ان يكون الدليل من الكتاب والسنة ليس الا . وهل الاجماع والقياس من اصول الدين كالكتاب والسنة فى الاستدلال ام لا . وهل الآحاد لايجوز العمل والاستدلال برواياتها اذا ثبتت صحتها ؛ والا فما الفائدة منها اه بنصه

(ج) انما يستدل المناظر بما تقوم به الحجة على خصمه فمن كان يناظر من يحتج بكلام هؤلاء العلماء يصح له ان يحتج عليه بكلامهم لاجل الالزام كما هو معلوم من فن المناظرة . واما الاجماع والقياس فالجماهير يعدونهما من اصول الاستدلال فى الفقه على خلاف ترونه فى محاورات المصلح والمقلد الآتية وبهذا تعلمون انهما ليسا محل وفاق كالكتاب والسنة . واما احاديث الآحاد الصحيحة فيحتج بها فى كل ما يكتفى فيه بالظن كالاحكام واما ما يطلب فيه القطع كالاعتقادات فلا يستدل عليه بالآحاد . هذا ما اتفقوا عليه فى جملته . وفى التفاصيل والجزئيات خلاف الحنفية فى ترك احاديث الآحاد التى تخالف القياس الجلى

(٣) ومنه : ما نقلتموه عن الغزالى من تقسيم العلوم الى محمود ومذموم ليس غرضنا وانما مرادنا هل قال احد من المجتهدين بمنع تعلم وتعليم العلوم النافعة فى الدنيا والآخرة الخالية من الالحاد والمفسدة حتى يمكن ان يقال ان مذاهبهم فيها ما يمنع الترقى المادى والمعنوى . وهل علم الكلام وعلم التصوف وتدوينهما فنا مستقلا كغيرهما من العلوم الحادثة بحدوث الاسلام على ما ذهب اليه ائمة الهدى ومصابيح الدجى من جمهور اهل السنة والجماعة يعد مفسدة فى الدين والدنيا .. واذا كان كذلك فما حكم من عمل بهما من المسلمين .. والا فما معنى انتقاد تدوينهما والاخذ بأحكامهما اه بنصه .

(ج) ما كان يخطر في بالنا ان احداً يسأل السؤال الأول فكيف يسأله من يُعلم من توقيع مكاتيبه انه « خادم العلوم والآداب » وكيف يمنع مجتهد في العلم تعليم ما ينفع في الدنيا والآخرة ولا ضرر فيه مطلقاً !!! أما العلوم النافعة في الدين فهي علوم المجتهدين الذين تعنيهم وأما العلوم الكونية التي كان يرجى ان ترتقي بها مدنية المسلمين وترتقي دنياهم فلم تنتشر فيهم الا بعد الائمة الأربعة . وقد شنّ الغارة على اصحابها علماء مذاهبهم وذموا علومهم وحرموها ورموا المشتغلين بها بالكفر والالحاد كابن سينا وابن رشد والفارابي والغزالي وكمال الدين بن معية واضرابهم وما زالوا يطاردونهم ويستعينون بالامراء عليهم حتى اضمحلوا وتلاشت علومهم ثم عادوا الى الاعتراف بفضل بعضهم كالامام الغزالي الذي حكموا باحراق كتابه احياء علوم الدين في الشرق والغرب حتى كان يحرق في اسواق القاهرة اكداساً اكداساً . وما اجمعوا على فضله بعد موته الا لأنه زهد في الدنيا وقضى سائر عمره في التأليف في الاخلاق والرقائق . وقد كان من تأثير هذه الغارة ان المسلمين تركوا تلك العلوم حتى الطب منها وقد شكا الغزالي في احيائه من فقد الاطباء المسلمين ومما كذّب به مزاعم الفقهاء الذين يزعمون انهم يشتغلون بدقائق الفقه لانه فرض كفاية انهم لو كانوا صادقين لأحيوا فن الطب لأنه من فروض الكفايات المتروكة بخلاف الفقه . ولا يزال فقهاؤنا الى اليوم يذمون علوم الدنيا مع علمهم بأن الدين لا يحفظ الا بالدنيا وان القوة فيها موقوفة في هذا العصر على هذه العلوم والفنون . ولعل السائل لم ينس المقالات التي كتبت في المؤيد منذ نحو سنة في ذم الطب والهندسة وتقويم البلدان . فالمتقدمون في هذا المقام

ينتقدون امثال هؤلاء الذين يعتقد عامة المسلمين انهم حفظة الدين لا انهم ينتقدون الائمة كابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد رضي الله تعالى عنهم

واما علم الكلام فقد حدث في الملة على عهد الائمة فحرّموه وذمّوه وقد نقلنا اقوالهم في ذلك في المسئلة ٥٢ من الدرس السابع عشر من الامالي الدينية المنشور في الجزء الاخير من مجلد المنار الثالث . وقد جمعنا ثمة بين اقوالهم وبين ما ذهب اليه الخلف من استحسان علم الكلام والقول بلزومه فراجعه

واما علم التصوف فهو على قسمين القسم الاول ما يتكلمون فيه على تهذيب الاخلاق وتأديب النفوس بآداب الدين ومحاسبتها على الاخلاص لله تعالى ومطالبتها بكمال التوحيد الذي لا يشهد صاحبه فعلا لغير الله تعالى ويرى الخلق مسخرين في قبضته مع عدم الغفلة عن الاسباب التي اقتضتها الحكمة وتمّ بها النظام وهذا هو لباب الشريعة ورجاله رجال الرسالة القشيرية واضرابهم رضي الله تعالى عنهم . وكان هؤلاء على طريقة الصحابة والتابعين في اخلاقهم وآدابهم وزادوا عليهم الكتابة والتأليف — ونعمت الزيادة — والمبالغة في ترك الدنيا وذمها زهداً فيها وقد كان لهذا اثر بيّن في كسل المسلمين وتقاعدهم عن الترقي في الدنيا وقد بينا عذرهم في بعض ما كتبنا ولعلنا نذكره في المنار بعد . وهذا القسم من التصوف يسمونه التخلق

والقسم الثاني يسمونه التحقيق وعلمه علم الاسرار ويتكلمون فيه عن الاذواق والمواجد وعما وراء الحس من عوالم الغيب وعن الذات الالهية والصفات السلبية ووحدة الوجود وهنالك المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة التي تاه فيها الادلاء وغرق فيها الملاحون وكان التأليف

فيها طامة كبرى ومصيبة عظمى . ولقد كان الشيوخ الاجلاء ينكرون الكلام فيها فما بالك بالتأليف والتصنيف حتى ان الاستاذ الجنيد أفتى مع الفقهاء بقتل الحلاج . اما منبع هذه الطريقة فهو الصين ثم انتشرت فى الهند وانتقلت وساوسها الى اليونان . ولما امتدت الفتوحات الاسلامية وامتزج المسلمون بجميع امم الارض مزجوا علومهم بما اخذوه عن تلك الامم وصبغوه بصبغة الدين ولونوه بلونه وذهبوا فيه مذاهب شتى . وكان اشد تلك المذاهب فتكاً فى الاسلام مذهب الباطنية وله شعب وفروع وقد راج كثير من مسائله على كثيرين من اهل السنة باسم هذا القسم الثانى من التصوف وقد شرحنا هذا فى اجزاء من المنار وسنفصله بعد تفصيلاً . وقد شن الغارة المتكلمون والفقهاء على اهل هذا القسم من المتصوفة وافتوا بكفرهم وساعدهم عليهم الامراء بالقتل والنفي وأتذكر انهم سلخوا جلود عدد كبير منهم فى مصر القاهرة فى يوم مشهود . وربما اخذ البرىء بجريرة الاثيم وقتل الصادق بذنب المارق

والحاصل ان الميزان الذى يعرف به الحق والباطل والراجح فى دين الله والمرجوح هو كتاب الله المعصوم والسنة النبوية الشريفة المبينة له وسيرة اهل الصدر الاول العاملين به على اكمل الوجوه . وكل احد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا المعصوم كما نقل عن الامام مالك رضى الله عنه

وقد طال الكلام وسنجيب على بقية الاسئلة التي تفيد الامة فى الجزء الآتى ان شاء الله تعالى